مصير الوجود الاسرائيلي في افريقيا بعد قطع العلاقات الدبلوماسية

□ مع اعلان حكومة سيراليون اليوم (٣٠ تشرين أول ١٩٧٣) عن قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، اصبح عدد البلدان الافريقية التي قطعت علاقاتها بالعدو الاسرائيلي ، ٢٤ بلدا ، منها ستة عشر دولة قطعت هذه العلاقات منذ السادس من الشهر المنصرم، وكانت ثمانية دول قد قطعت هذه العلاقات مع اسرائيل خلال هذا العام ، قبل الحرب الاخيرة .

لقد ادت هذه الحرب الاخيرة الى تفجير الوجود الاسرائيلي في القارة الافريقية الى تشكل بالنسبة للكيان الصهيوني المرفوض والمقاوم والمحاصر عربيا ، مجالا اقتصاديا حيويا ، يحسب ان التضامن الافريقي مع العرب لا يشكل بالنسبة لاسرائيل ضربة معنوية فحسب ، بل مضاعفات اقتصادية هامة .

وكانت بوادر هذا التغير الافريقي قد بدأت تظهر في السنتين الاخيرتين بشكل خاص . ففي خلال تلك الفترة اظهرت البلدان الافريقية في المنظمات والمؤتمرات الدولية ـ في الامم المتحدة ، في منظمة الوحدة الافريقية وفي مؤتمرات بلدان عدم الانحياز، تضامنا متزايدا مع مصر بصورة خاصة ، باعتبارها « البلد الشقيق الذي تحتله اسرائيل » .

وفي مقابل ذلك كان المسؤولون الاسرائيليون يقللون من قيمة هذه الظاهرة النامية، وكانوا يبررون هذا التضامن الواضح على انه « امر طبيعي بان تظهر البلدان الافريقية تضامنها مع بلد افريقي » ...

وكانت اوغندا ـ لم تشأ من بعدها ـ اول بلد قطع علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل . ومع ذلك اكتف تل ـ ابيب بتسجيل هذين القرارين في قائمة الارباح والخسائر ، وفسرت الموقف على انه حاجة اوغندا للاموال الليبية من جهة وحاجة نشاد لوقف ليبيا مساعداتها للحركة الثورية في تشاد التي تخوض كفاحا مسلحا ضد نظام حكم الرئيس تومبلباي ، من جهة ثانية .

ولكن بعدما انضمت النيجر الى اوغندا ونشاد فقطعت علاقاتها باسرائيل ، لمس المسؤولون الاسرائيليون خطورة الموقف في افريقيا . وكان هذا الدافع لعقد مؤتمر السفراء الاسرائيليين في افريقيا لوضع الخطط اللازمة لمواجهة الدعاية العربية في القارة . ولكن كما اثبتت الاحداث التي تلت، فان ذلك لم يجد الاسرائيليين نفعا . وبلغ عدد البلدان الافريقية التي قطعت علاقاتها بالعدو الاسرائيلي حتى الخامس من تشرين الاول المنصرم اكثر من ١٦ دولة ، من بينها غينيا التي بادرت الى قطع هذه العلاقات خلال حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

وحاليا بعد قرار سيراليون الاخير ، تعي لاسرائيل علاقات بثمانية دول افريقية اعضاء في منظمة الوحدة الافريقية . وهذه الدول هي تلك ذات الانظمة الرجعية التي تدور في فلك نفوذ جمهورية جنوب افريقيا العنصرية (مالاوي ، ليسوتو ، بوتسوانا وسوازيلاند) وتلك ذات الانظمة الاستعمارية الجديدة ، مثل ساحل العاج وليبيريا وكينيا .

وفي الواقع لم تبدأ بلدان القارة الافريقية في وعي حقيقة الكيان العنصري الصهيوني في فلسطين المحتلة ، الا بعد حرب الخامس من حزيران والاحتلال الاسرائيلي ليس فقط لاراضي ثلاثة بلدان عربية ، بل لاراضي « دولة افريقية شقيقة » هي مصر ، وكانت كافة المحاولات العربية قبل هذا التاريخ، من اجل حمل بلدان القارة لاتخاذ موقف اكثر جذرية من اسرائيل ، غير مجدية ، وبرغم دعم مصر بالذات في دعم الحركة الاستقلالية الافريقية وحركات التحرر الوطني فيها .

ولكن شيئا فشيئا بعد هذا التاريخ، بدأت البلدان الافريقية تعي حقيقة الاحتلال وواقع الاستعمار الاسرائيلي ، وذلك بعد ان بدأت تدرك حقيقة الاستعمار القائم في افريقيا الجنوبية . وقد سارعت البلدان العربية الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية لاستغلال ذلك الوضع الناشيء في القارة الافريقية لتحقيق تغيرات في مواقف بلدانها من الصراع العربي الاسرائيلي ، وتعمق في السنتين الاخيرتين تعمقا ملموسا .

الا ان التطور الاهم كان خلال انعقاد مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية في ادس ابابا خلال شهر ايار الماضي، ومؤتمر بلدان عدم الانحياز من بعده ، الذي عقد في الجزائر ، حيث خرجت البلدان الافريقية بتضامن صريح وواضح مع قضية النضال العربي العادل ضد اسرائيل ، مما دفع اسرائيل الى التعبير عن خشيتها من ان احدا من « اصدقاء » اسرائيل داخل المؤتمر ، «لم يعد ليدافع عنها» (!) ، بينما راحت تتوالى الاعلانات من عواصم افريقية تعلن قطع العلاقات مع اسرائيل ، تضامنا مع مصر ، واسلدان العربية الاخرى، في « كفاحها الباسل لاسترداد اراضيها المحتلة » .

وقد جاءت الحرب الرابعة لتعجل وتوسع هذا الاتجاه المتطور في القارة الافريقية بقطع العلاقات مع اسرائيل اما بدافع القناعة بالدور الاستعماري الذي يلعبه هذا الكيان العنصري الغريب وتضامنا مع النضال العربي ضده واما بدافع الخوف والحرص على الالتزام بمبدأ التضامن احد الركائز الرئيسية لمنظمة الوحدة الافريقية ، وكتلة عدم الانحياز، كما هو الحال مع نيجيريا او السنغال على سبيل المثال لا الحصر .

واذا كان هذا التطور الافريقي يعتبر كسبا سياسيا معنويا للعرب في الصراع مع اسرائيل ، فانه تطور سياسي واقتصادي سلبي بالنسبة للعدو الاسرائيلي ، الكيان المقاوم والمحاصر اقتصاديا وسياسيا والذي لا تمثل القارة الافريقية بالنسبة له اهمية كبيرة لتزايد عدد دولها ، بل ولاهميتها الاقتصادية كمصدر للمواد الاولية وكسوق فسيحة لها ، بدأت بالتفلص مع التطورات الاخيرة وسطحيا مع مرور الزمن نتائجها السلبية الملموسة على العدو الاسرائيلي.

الميراج لتل ابيب من عنصريي جنوب افريقيا

في البيان رقم ٦٠ الذي صدر عن القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، بعد بضعة ايام من قرار وقف اطلاق النار ، ذكر بان بعض طائرات الميراج التي قامت بالعدوان على مصر ، تابعة لاحدى الدول الاجنبية . وتبين فيما بعد بان جنوب افريقيا العنصرية هي التي كانت مصدر تزويد اسرائيل بـ ٥٠ طائرة ميراج ، بعد الخسائر الجوية الفادحة التي مني بها العدو الاسرائيلي .

ولكن لم يكن مستغربا ان يمتد العنصريون في جنوب افريقيا الى ارسال تعزيزات للعدو الجوي الاسرائيلي لان العلاقة التي تربط ما بين تل ابيب وبريتوريا هي اعمق من علاقة صداقة وتأييد ، ومن كون وجود جالية يهودية كبيرة وثرية في جنوب افريقيا يجيء حجم تبرعاتها لاسرائيل في المرتبة الثانية مباشرة بعد حجم تبرعات اليهود في الولايات المتحدة . فالعلاقة بين جنوب افريقيا واسرائيل هي علاقة كيان عنصري استعماري بشكل اساسي الرئيسية للامبريالية الامريكية في افريقيا ، بكيان اخر عنصري واستعماري وبشكل بدوره القاعدة الرئيسية للامبريالية العالمية في الوطن العربي .

لقد كانت جنوب افريقيا من اوائل الدول التي اعترفت بالكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة ، في سنة ١٩٤٨ . وكانت في سنة ١٩٥٦ ، خلال العدوان الثلاثي الاسرائيلي ـ البريطاني ـ الفرنسي على مصر ، الدولة التي وقفت بوضوح تؤيد العدوان الاسرائيلي.

ومع ذلك ، ظلت اسرائيل حريصة حتى حرب حزيران ١٩٦٧ ، على عدم تنمية علاقاتها مع العنصريين في جنوب افريقيا وذلك خدمة لاستراتيجيتها بالتغلغل السياسي والاقتصادي في القارة الافريقية ، وذلك تحت شعار انه ليست هناك سوى فئتين من النبوذين : اليهود والسود (هرتزل) ـ هذا الشعار الذي افتتحت به اسرائيل القارة الافريقية ولاقت به انصارا كثيرين لها قبل انكشافها الاخيرة فيها .

ولكن بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لم تعد اسرائيل على ما بدا ، تخشى من تنمية علاقاتها مع جنوب افريقيا ، والمضاعفات الكامنة على سياساتها الافريقية من جراء ذلك وبذلك انكشف القناع كليا منذ ذلك التاريخ على الهوية المشتركة للكيانين العنصريين والتطور المحتوم للعلاقات فيما بينهما ، كقلعتان حصينتان للامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة .

في الواقع ، بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، افاد الاسرائيليون عنصريي جنوب افريقيا بدروس الحرب الخاطفة الاسرائيلية، وبفوائد الضربة الوقائية للعدو وطرق مكافحة الفدائيين وذلك من خلال سلسلة من الزيارات والافادات والندوات للقيادات العسكرية المعنية .

وكان وزير الاعلام الجنوب افريقي ، الدكتور مولدر ، قد اوجز في سنة ١٩٦٨ القاسم المشترك بين الكيانين ودورهما المتماثل في استراتيجية الامبريالية العالمية في آسيا وافريقيا ، عندما صرح يقول : « ان الهدف الصريح للشيوعية العالمية هو الاستيلاء على افريقيا ومحاصرة اوروبا » ، وبالتالي « بان هناك دولتان اليوم فقط ، تقفان عقبة امام هذا المخطط الاحمر ـ اسرائيل وجنوب افريقيا » (!)

ان التحالف بين اسرائيل وجنوب افريقيا هو تحالف قوى عنصرية رجعية في العالم الاسيوي ـ الافريقي ، مدعوم من الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة ، يخدم هدف احتواء وكبح قوى التحرر والتقدم لادامة السيطرة والنهب الامبريالي لجماهير الشعوب المقاطعة والمستغلة .

ولقد كان متوقعا ان يهرع النظام العنصري في بريتوريا الى المساهمة في تزويد اسرائيل بالعشرات من طائرات الميراج ـ التي تشكل اساس سلاحه الجوي ـ لتعويضها خسائرها وصمودها .

وهذا التحالف الرجعي العنصري لا يمكن تحطيمه الا بتوجيه المزيد من الضربات ضد هذين الكيانين بهدف التدمير النهائي . وهذا بدوره لا يستدعي تشديد العمل الثوري المسلح وتوثيق التضامن بين الشعب العربي والشعب الافريقي في افريقيا الجنوبية . فكل ضربة يتلقاها العنصريون في جنوب افريقيا على يد المقاتلين الاحرار الافريقيين هي مكسب للحركة التحرر الوطني العربية كما ان كل ضربة يتلقاها العدو الاسرائيلي هي مكسب للحركة التحرر الوطني الثورية في ذلك الجزء من القارة الافريقية ، المناضلة ضد العنصريين والامبريالية العالمية .

حرب الشرق الاوسط في الصحافة الدانمركية

لقد اظهرت لنا هذه الحرب ان العرب قادرون على القتال من أجل حقوقهم

برغم كل ما يمكن ان يقال عن حرب ٦ اكتوبر ، فقد كانت هذه الحرب نصرا للارادة القتالية العربية ولممارسة هذه الارادة على ارض الواقع. وقد كان من الطبيعي ، وكمحصلة لها ، ان تنعكس الانتصارات العربية على خط سير الاعلام الغربي وتفرض نفسها حتى على الاعلام المعادي . وفيما يلي نقدم تقريرا صحفيا كتبه الصحافي الدانمركي ((لون هانسن)) عن انعكاسات حرب الشرق الاوسط في الصحافة الدانمركية :

« في حرب حزيران ١٩٦٧ كانت عناوين الصحف الدانمركية « لقد نعت هزيمة العرب » . وقد تغير موقف هذه الصحف بعد السادس من شهر تشرين الاول في هذا العام نتيجة لعدة عوامل ومن بينها طبعا ، الهجوم المفاجيء والانتصارات العربية التي تحققت في بداية هذه الحرب .

البطولة : من لا يحبها ؟

ان الاوروبيين يعجبون بالقوة ويخشون في انفسهم الضعف ، ويحبون البطولة ويخافون في انفسهم الجبن، وفجاة راوا ان بعض هذه الفضائل هي من خصائص العرب ... انهم هم نفس الشعب الذي عرف بدائيته البدو في عام ٦٧ ... لقد كان لديهم هذه المرة خطة وكانوا قادرين على تنفيذها دون صراخ واستطاعوا ان يحطموا خط بارليف الذي لا يقهر وقبل كل شيء ان ياخذوا الاسرائيليين بالمفاجاة ...

من الطبيعي ان هذا لم يحدث فجاة في يوم ٦ اكتوبر بل ان ارضيته كانت ممهدة . فقد وسخت دعاية الفلسطينيين في العالم في اذهان قسم من الناس بان اليهود ليسوا هم الشعب اليوحيد الذي اضطهد في العالم ... بل اعد من ذلك اوضحوا ان هنالك فارقا بين ملايين اليهود الذين قتلوا في الحرب العالمية الثانية وبين اولئك اليهود القتلة الذين يقصون بوحشية وبدون تمييز محتجات اللاجئين... والذين اغتالوا الزعماء الثوريين في مقارهم وامام اعين اطفالهم...

ان كلمات الفلسطينيين وغيرهم من العرب قد ساعدت الى حد في كشف القناع عن الطبيعة الحقيقية للدولة الصهيونية من خلال اعمال اسرائيل نفسها ...

((النعجة)) تعتدي

ولقد الان الى الصحافة الغربية وعلى الاخص وسائل الاعلام الدانمركية التي عالجت هذه الحرب ... لقد كانت الايام الاولى مشبعة بالمفاجات والفوضى والتخبط وكانت وسائل الاعلام تلك السيطر عليها من قبل المعلقين المؤيدين لاسرائيل نزوي القصص المختلفة وتذكر كيف ان هذا البلد الصغير كان عليه ان يخرج من صوامعه المدسمحيث الجميع ينعبد ، لمقاتله الجيوش الغازيه .

وعلى كل حال سرعان ما تغيرت الصوره بعدما وصل الصحفيون الدانمركيون الى البلاد العربية وبدأوا يلمسون ويكتبون عن الروح المعنوية العالية التي تسمح بها كافة الناس وعلى الاخص في دمشق، بعد الغارات الجوية الكثيفة عليها ... واستطاع هؤلاء الصحفيون ان يكتبوا مكذبين ادعاءات دايان التي اعلن فيها انه استطاع تحطيم القوات العراقيه مرتين في حين كان هؤلاء يتواجدهم يقاتلون ...

لقد فقدت اسرائيل وحلفاؤها الشيء الكثير من مصداقيتها التي استطاعت ان تحافظ عليها ، وبدون حق ، لعدة سنوات .. وانه للمرة الاولى في التاريخ المعاصر اصبح العالم يستمع الى العرب. وعلى الرغم من ان الصحف البرجوازية كان في صفحاتها مسح للمقالات الواردة من اسرائيل التي تتحدث عن الجنود الاسرائيليين « الابطال » وعن عويل النساء وبكائهن في اسرائيل ، الا انها اضطرت ان تعامل العرب باحترام وخاصة عندما بدا الحديث عن دور البترول .. ومع ذلك فان اكثر الصحف رجعية وموالاة للصهيونية . في الدانمرك كتب في الاسبوع الماضي مقالا صغيرا ذكرت فيه لاذا يدعم شعب الدانمرك اسرائيل .. وقد ظهرت هذه الصحيفه وفي صفحتها الاولى صوره كبيرة لجندي اسرائيلي يقدم آخر نقطه ماء لديه لحصانه كانت بالعرب منه !!

اما صحيفه الحزب الديمقراطي الاشتراكي المعروفة (كالحزب الناطق باسمه) تمويلها الصهيونية وعلاقاتها الوثيقه باسرائيل فقد طلبت من كاتب معروف بارائه الموالية للفلسطينيين ان يكتب مقالا تحليليا لان ذلك كما قالوا هو نصيحح لخط ساروا عليه في الماضي وكان متحارا للجانب الاسرائيلي فقط ومن الطبيعي ان مقالا صغيرا لا يغير موقف صحيفه او حزب ..

الست خائفا من السفر الى لبنان ؟

عندما غادرت مطار كوبنهاغن استطعت ان احس بمشاعر الانسان العادي في الشارع الدانمركي وما هو مفكره في الحرب الحالية .. فقد سالني رجل البوليس الشاب في المطار وهو يحجز لي معاملاتي : الست خائفا من سفرك الى لبنان ؟ وقد تناقشنا قليلا في الوضع وقال لي : اعتقد واؤمن بان على اسرائيل ان تعود الى حدود عام ١٩٦٧ وان تسمح للفلسطينيين بان يعودوا هم ايضا ..

ومن الطبيعي جدا ان هذه الحرب كانت حربا محرجه وصعبه بالنسبه للدوله الصهيونية وكذلك في عملية الدعايه لها ..

وقد كانت هذه الحرب صعبه ايضا بالنسبه للاسرائيليين لان عدوهم هذه المره ليس نمرا من ورق . بل قوه فتزت في مدى السنوات الى طور التنمية التكنولوجية .. وكذلك قوه استطاعت خلال سنوات قليله ان تكون قادره في الغلب على هزيمة ١٩٦٧ المذله .

ومع ان وقف اطلاق النار جاء ليصطدم مع احلامنا ووافقنا . فان هذه الحرب قد اظهرت لنا ، ان الجماهير العربيه واعيه وقادره على القتال من اجل حقوقها .. ومن المهم ان نحافظ العرب على الانجاز الذي حققوه فيما يتعلق بلفت انتباه العالم وقابليته لصدمهم بما يتعلق بالروح القتالية والاسلوب الاعلامي » ..

مهرجان تضامن وتأييد للنضال المصري من أجل التحرير

اقامت « لجنة التضامن لتاييد حركات التحرر العربية » مهرجانا في بروكلن ، نيويورك ، في الحادي والعشرين من الشهر المنصرم ، تمت الدعوه خلاله الى تاييد الشعوب العربية في نضالها العادل من اجل تحرير اراضيها ، وادانة العدوان الاسرائيلي والتدخل الامريكي .

وقد تشكلت اللجنة من التظمات التالية : اتحاد الجنود الامريكيين، حزب الفهود السود لجنة تاييد حركات التحرر العربية ، اللجنه الوطنية للدفاع عن المعتقلين السياسيين ، بعثة نيويورك الى مهرجان الشبيبة العالمي ، منظمة الطلبة العرب ، الحزب الاشتراكي البورتوريكي ، الرابطة الشيوعية الثورية ، حزب العمال العالمي ، رابطة تحرر الشبيبة العاملة ، والشبيبة المناهضة للحرب والفاشية .

وقد جاء في الدعوة الى حضور المهرجان ان « الحرب الحالية في الشرق الاوسط هي نسخة مباشرة للسياسة العدوانية للصهيونين وللامبرياليين الغربيين . لقد سعى الشعب طوال الخمسة والعشرين سنه الاخيرة من اجل تحرير اراضيهم المحتله من قبل المعتدين الاسرائيليين. ان «الخطة الكبرى» للصهيونين وللامبرياليين الغربيين، للتوسع، ودفع العرب الى الصحراء سيمثل النضال البطولي للشعب العربي . واننا ندعم نضال الشعب العربي كنضالنا نحن لان قوى الاستغلال والاضطهاد هي ذاتها التي تضطهد وتستغل شعبنا هنا ..

« اننا ندعو كافه الشعوب المحبة للسلام والعدل الى تاييد الشعوب العربية في نضالها العادل لتحرير اراضيها . اننا ندعو كافة الشعوب التي تناضل ضد الاضطهاد والاستغلال الى ادانة العدوان الاسرائيلي والتدخل الامريكي » .